

بدون دولة راشدة جامعة، ستبقى الأمة الإسلامية متنازعة متفرقة



إن الوضع الذي تعيشه الأمة الإسلامية بعد هدم دولتها دولة الخلافة مليء باللآسي والفقر والحروب وسلطُ الغرب، وحتى تنهض الأمة من كبوتها لا بد لها أن ترجع إلى وضعها الطبيعي يوم أن كانت متميزة عن باقي الأمم بنظام الحكم في الإسلام الذي بينه الرسول ﷺ حين أقام الدولة في المدينة، دولة أفرزت طرازاً متميزاً من العيش ذات طابع فريد فقد جمعت بين الناس كافة، كل يسير بأحكام الإسلام وسلطانه، هذا السلطان الذي جمع المسلمين ووحدهم في كيان واحد، تحت نظام واحد ورابة واحدة، وقد علم الكفار مكمن هذه القوة وأنها تمثل في وحدة المسلمين وبوجود سلطانهم فعمدوا إلى تمزيق الأمة الإسلامية، فكان يوم 28 رجب تاريخ الذكرى الأليمة، تاريخ هدم الخلافة، ثم أتبعوه باتفاقية سايكس بيكون هذه الحدود القطرية التي ساهمت بشكل كبير بإضعاف الأمة الإسلامية، ولم يكتفوا بذلك، بل يسعون لتمزيق ما هو ممزق وتفتيت ما هو مفتت.

إن الرابط الحقيقي الذي يوحد أبناء الأمة من جديد هو الإسلام لا غير، وهو الحل الذي إن طبق بدولة الخلافة، جمع الأمة ووحدها وكشف عنها الغمة، فوحدة الأمة الإسلامية لا تتحقق إلا بالعودة إلى الإسلام نظام حكم، ومنهاج حياة، فالتقيد بأحكامه يلزم المسلمين أن يكونوا دولة واحدة كما هم أمة واحدة، فربما واحد، ونبيها واحد، ودينها واحد، وقرأها واحد، وقبلتها واحدة، وينبغي أن يكون لها خليفة واحد، يحكمها بالإسلام ويحمله إلى العالم جميعاً بالدعوة والجهاد في سبيل الله.

وبما أن وحدة الأمة لا تقوم لها قائمة إلا بكيان سياسي قائم على مبدأ يحوي نظاماً متكاملاً، ومبدأ الأمة هو الإسلام، أصبحت المهمة أن تعود إلى مبادئها فتأخذ منه نظامها ومعاجلاتها، وتعيد الأمور إلى نصابها إذ إنها تملك كل مقومات الأمة الراقية والعظيمة: مبدأ وعقيدة وأحكام مصدرها الوحي.

فالأمة المبدئية التي تملك فكرة عالمية وطريقة عالمية من جنس فكرتها هي أمة تؤمن بمسئولياتها عن غيرها من الأمم فتعده نفسها لذلك الدور، وتصوغ مصالحها على مستوى العالم كما تصهر الجموعة الإنسانية فتجعلها أمة واحدة ناهضة، موحدة، قوية، متماسكة، أمة تصهر كافة الشعوب المختلفة في بوتقتها لتكون جزءاً منها في أمة عالمية في الشكل والمضمون.

ومن كل ما سبق ندرك أن ما تحتاجه الأمة اليوم هو الدولة الواحدة والإمام الواحد، الذي تقاتل من ورائه وتتقى به ويدفع عنها ظلم أعدائها، ويوحد عملها وسياستها بتطبيق الإسلام كاملاً في الداخل وحمله رسالة عالمية إلى الخارج بالدعوة والجهاد، وأن وحدة الأمة على العقيدة والشريعة لا تكفي، بل لا تغنى عن وحدتها السياسية وجماعتها على خليفة واحد.

إن العمل لإقامة هذه الدولة واجب شرعي، وضرورة واقعية، وهو الطريق الوحيد نحو استعادة وحدة الأمة وقوتها بعد قرن من الانحدار، الذي بدأ بضعف الخلافة، وتعمق حتى صرنا أضعف الأمم وأهونها، **﴿لِمَثِيلٍ هَذَا فَلِيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾**.

وبدون هذه الدولة الجامعة، ستبقى الأمة متنازعة متفرقة، تستهلك قواها في الصراعات، ويستمر العجز والوهن، وتتوالى الهيمنة والاستباحة. أما حين تتجه جهود المخلصين إلى إعادة هذه الدولة الراشدة، فإن الأمة ستعود كما أرادها الله: أمة واحدة قوية راشدة حية.

وقد أمر النبي ﷺ أن يكون لل المسلمين دولة واحدة وإمام واحد فقال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسْوُسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلُّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيٌّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ»، قالوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قال: «فُوا بِيَعْنَى الْأَوَّلِ، فَالْأَوَّلُ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»، ومن عظيم أهمية هذا الفرض فقد أمر النبي بقتل من يسعى لتفريق وحدة المسلمين السياسية، قال ﷺ: «مَنْ أَتَأْكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُبَيِّدُ أَنْ يَشْقُّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ»، وقال: «فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مِنْ كَانَ» وقال: «إِذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا»، والأمر بقتل مسلم وإهدار دمه دليل على وجود مطلب شرعي يراد تحقيقه، والحفاظ عليه هو أعظم بكثير من حرمة دم ذلك المسلم، فدل هذا على وجوب وحدة الأمة السياسية على إمام واحد يكون المسلمين من ورائه جماعة واحدة.

ولقد بدأت الأمة في عمومها بالرجوع إلى الإسلام بعد عقود من التيه والدوران في حلقة مفرغة وراء شعارات تظن أنها من الإسلام، وببدأت تتحسس طريق وحدتها إلا أن العمل على وحدتها السياسية وإعادتها جماعة من جديد كان ولا يزال أمراً محفوفاً بالمخاطر والصعوبات، إلا أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسراً، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثْبِتُ أَقْدَامَكُمْ﴾**.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي حزب التحرير

رنا مصطفى